

مكناس في مهرجانها المسرحي .

د . حسن المنعمي .

تتوفر مدينة مكناس على مسرح كبير انتصب في الهواء الطلق وبسط حديقة عمومية تعرف باسم « الحبول » ففي هذا المكان نظمت جمعية « البعث الثقافي » بمشاركة جمعية « العمل المسرحي » المهرجان الاول للفنون الدرامية وذلك فيما بين 4 و 8 يوليوز 1974 . وقد لقيت هذه الظاهرة الفنية نجاحا منقطع النظير نتيجة مساهمة بعض الفرق الجادة كفرقة الكوميديا المراكشيه والنهضة المسرحية (الخميسات) ومسرح الفصول (مكناس) .

وحيث ان المهرجان كان قد نظم تحت شعار « من اجل تمصحيح عطاء مسرحي مغربي اصيل » فان المجموعات المشاركة قد برهنت من خلال عروضها القيمة بأن السبيل الوحيد للحصول على مسرح يفتي اصيل يتحدى الاحتراف هو الانفلات من الوصاية ، اي من قبضة اشراف الدولة التي توجه المهرجان الرسمي للهواة ، ثم الانسلاخ عن تقاليد اليازية قصد خلق حوار دائم مع الجماهير المريضة عن طريق لقاءات اخرى تتجلى في المبادرات التي تقوم بها بعض المنظمات الثقافية كالمهرجان الاول لمسرح الحبول ، الذي اكد بكل وضوح ان الهواة في المغرب يوجهون انظارهم واهتماماتهم الى قضية الانسان المغربي قبل كل شيء . لذا فان النتائج المعروضة كانت تلحم بتقاليدنا ، كما كانت تطرح آراء الجماهير ، وتسمى الى تسليط الاضواء على مركباتنا الاجتماعية وقضايانا اليومية . ففي « موكب السعيان » يعرض علينا « تيمود » — وبأسلوب فني موجز — علاقة باعة الجرائد مع الصحف وقراء الصحف البرمية . « مع ان الموضوع كان ينضبط في هذا الجانب ، ويرصد نماذج هامشية من المجتمع ، فانه يقدم لنا تشرحيات حياتية عديدة تجعلنا نقف على حقيقة الانسان المسحوق الذي يياضل من اجل البقاء لانه « مهما ماتت الافكار فانه تولد افكار اخرى » . وابلورة هذه الفكرة فقد عمد « تيمود » كما دقه الى اسلوب الفرجة التي توحى بالفرجة ، فاعتمد على

الرقص ، والغناء ، والحوار الشعري ، وتكرار الحركة ، والمواقف الصامتة مما جعله يتوغل في عملية « المسرحية » الى درجة نسيان الجمهور . وبالتالي فقد غاب عليه بعض الحاضرين في مناقشة العرض عدم تطابق ايدولوجية النص مع الشكل وسقوط الصراع الاساسى الذى اصبحت وهيبا خصوصا عند ما ندرك فى النهاية ان باعة الصحف كانوا قد هدموا الفكر المشلول دون قاعدة فكرية ودون سابق اعلان .

اما فى مسرحية « سائف لونجة » التى الفها واخرجها عبد الكريم برشيد ، فان الحدث يقوم على اسطورة امرأة تبدو سجيئة فى مقصورة . ومن خلال هذه الفكرة فقد اراد الكاتب — المخرج تحديد مصير الانسان بعد ان دفعه الى البحث عن هويته . لذلك نرى منذ البداية ان المؤلف فى « مسرحية — الذى يرمز الى الخالق — كان قد افترض تقديم عمل لا يعتمد على الصراع . وكان قد ابتدع لقادية الادوار اشخاصا يرفضون كل اشكال ابطلولة ، الا ان ايصال الفكرة الاساسية كان يسلك مسارب متعددة تسنقل التاريخ كلوحة خلفية ، وتدعو المخرجين الى تطبيق مراحله واسقاطها على وجودهم الباطنى او الخارجى .

وقد كان يتبين لنا من خلال تتابع النوحات ان كل واحدة منها كانت تبدو وكأنها تردم الحدود الاستتيكية بتقديم عناصر انسانية جديدة انطلاقا من خطيئة آدم الى محاولة تمركزه فى حيز الوجود المتناقض الذى يدفعه الى ان يعيش الموت ليحيا الحياة من جديد سواء عن طريق الرفض او الفعل انثورى (الحسين — سندباد — الحلاج — على بن محمد قائد ثورة الزنج) . وباختصار فان مسرحية « لونجة » رغم ما يملكها من تكرار فى بعض المواقف ، تعد عملا فنيا رائعا يصف الانسان فى شموليته عن طريق تغليب عناصر التاريخ وتسخيرها لبناء واقع معاش .

وفىما يتعلق بمسرحية « الرهوط » التى توجت اعمال المهرجان، فان هذا العمل قد فرض نفسه كتجربة جديدة تضاف الى التجارب الاخرى التى ابدعها « شهرمان » لفرقة كوميدى المراكشية . اما تدخل المخرج عبد العزيز الزيدى فقد كان يتجاوز لمساته الفنية السابقة وان كان قد استعمل نفس الاسلوب المدهش الذى لمسه فى « نكسة ارقام » و « الضفادع السوداء » . فالتشخيص كان يصاحبه الغناء الجماعى الذى يعمق الايقاع الدرامى ومع ان الحدث كان يتناول قضية فلسطين ، فان المؤلف قد جعل منه مطية لمعالجة اوضاعنا الفاسدة عن طريق طرح علاقات انسانية (الظالم والمظلوم) وتجسيدها بأسلوب حى نابض ، وتركيبات ذكية تستغل المسرح داخل المسحوح ، وتستلهم تقاليدنا الدرامية القديمة .

واخيرا ماذا يمكن ان يقال عن هذا اللقاء ؟

ان اول ما يميزه هو مستواه الرفيع سواء فيما يرتبط بجانب العروض او المناقشات التي دارت حولها والتي كانت تتجه في الغالب الى النقد العلمى الصريح الذى يعتبر من العوامل الاساسية الرامية الى تنمية كل جوانب الازمة التى يعانى منها المسرح المغربى .

فعلى عكس ما جاء فى مقال لا نعرف نوايا صاحبه (العلم الفنى 21 يوليوز 1974) يبدو للجميع ان المهرجان كان يسمى — اساسا — لى اهداف سامية غير التى تحدث عنها صاحب المقال المذكور عند ما اكد بحر سداجه اننا كنا نحاول من وراء مشروعنا « تنشيط » المدينة التى احتضنت المهرجان ومزاحمة وزارة الشبيبة والرياضة . واثققة ان غايتنا بعيدة عن ذلك ، لاننا متحدى مهرجان الوزارة التى نكرها لانسه لم يحقق اى شىء رغم مرور سنوات عديدة على ظهوره . اما « التنشيط » فهو غاية ثانوية . وبما اننا نريد خلق تقليد من شأنه ان يشمل سائر المدن امقربيه الاخرى فاننا قد حرصنا على انتقاء اجود الفرق الهوايه والتعامل مع المع الفنانين الشباب ليعيش جمهور المدينة فى « تزامن » مع ابداعات مسرحية بعيدة عن التهريج ، توجه كل عنايتها الى البحث والتاصيل ، وتعمل جادة على التقاط أنفثات العريضة لمجتمعنا ونقد سلوكها والتركيز على قضاياها بكل صراحة الشىء الذى لا نجده فى المهرجانات الرسمية .

وعلاوة على ذلك فاننا نريد استقطاب المهتمين بالامن الدرامى لتبادل الراى ولتوفير فرص البحث والدراسة ، كما اننا نريد بناء « مناطق » مسرحية لتبادل التجارب دون اقبالها وللتعريف بكل الاعمال التنظيمية وتقييمها وترويجها حتى يتمكن اصحابها من ربط علاقات متينة بالمتقنين وخصوصا بالجماهير المتعطشة التى سئمت العروض المجانية لان الواجب يفرض علينا ذلك ، والا فلن يكون فى امكاننا ان نتجاوز الازمات ، ونحكم الحواجز ونجعل من المسرح ميدانا لانفتاح الافراد وتواجههم وتنقيفهم .